

المراهقة وأزمة الغذاء والهجرة

جانيس ريدسدل

يواجه المراهقون الذين يهاجرون بسبب أزمة الغذاء مخاطر مختلفة، وعلى المعنيين الحول دون حدوث هذه الظاهرة والاستجابة لها.

في الأزمات المرتبطة بالجفاف وما ينتج عنه من نقص في الغذاء، يكون محور اهتمام الجهات الفاعلة المعنية بالطفولة والأطفال الأصغر سناً، ولاسيما مشاكل انتشار أمراض سوء التغذية وارتفاع معدل وفيات الأطفال والأعداد الكبيرة للمتسربين من التعليم في المدارس الابتدائية. ولكن هذه الجهات لا تولي سوى قدراً ضئيلاً من الاهتمام للأطفال الأكبر سناً، وخاصة لدوافع العمل والهجرة في الأزمات؛ حيث ارتفعت من ٢٣١٪ إلى ٦٠٪. وعلاوة على ذلك، فقبل حدوث أزمة الغذاء كان كثير من الأطفال يعملون في الزراعة بالقرب من منازلهم، أما مع بداية الأزمة، اضطرت العائلات إلى إرسال المراهقين خارج مجتمعاتهم المحلية لإيجاد عمل مدفوع الأجر.

وفي بوركينا فاسو، أُبلغ أن نحو ١٧٪ من الفتيان في سن المراهقة و١٠٪ من الفتيات في سن المراهقة أُجبروا على الانتقال جراء أزمة الغذاء. وفي كلتا الدولتين، انتقل الفتيان في سن المراهقة إلى المدن الكبيرة وأحياناً خارج البلاد سعياً للعمل بوصفهم عمالاً في الأشغال اليدوية أو باعة متجولين. وبحث الفتيان أيضاً عن عمل في مواقع التعدين. ولا يتطلب بالضرورة العمل في موقع التعدين من الأطفال الهجرة ولكنه يستلزم السفر ذهاباً وإياباً على نحو دوري وأحياناً يقضي بعض الفتيان على نحو خاص الليالي في مواقع التعدين. وتزداد احتمالية بقاء الفتيات داخل مجتمعاتهن المحلية لبتحملن عبء جزء كبير من الأعمال المحلية دون أجر، مثل: جمع الطعام أو رعاية الأطفال الصغار.

وتأتي الهجرة والانتقال بحثاً عن العمل جنباً إلى جنب مع التعرض أيضاً للعنف لأن المراهقين ينتقلون دون مصاحبة البالغين لحمايتهم. ففي بوركينا فاسو، أُبلغ نحو ٢٦٪ من الفتيان في سن المراهقة الذين عقدت معهم مقابلات، مقارنة بنحو ٢٪ من الفتيات، على أنهم كانوا ضحايا للعنف مرة واحدة على الأقل جراء أزمة الغذاء. وفي المناقشات، وجد أن هذا الأمر يرتبط في المقام الأول بالتعرض للعنف في مواقع التعدين حيث يُحتمل أن يُهاجم المراهقين من قبل عمال المناجم الكبار الذين يسعون لسرقه ما يحصلون عليه. وإضافة إلى التعرض للعنف، يكون العمل في حد ذاته غالباً خطيراً وصعباً. ومع أنه لم يكن حاضراً أثناء إجراء الدراسة إلا عدد قليل من الأطفال العاملين في المدن أو خارج البلاد، فروايات آبائهم وأقربانهم كانت أرضاً خصبة للدراسات التي

في الأزمات المرتبطة بالجفاف وما ينتج عنه من نقص في الغذاء، يكون محور اهتمام الجهات الفاعلة المعنية بالطفولة والأطفال الأصغر سناً، ولاسيما مشاكل انتشار أمراض سوء التغذية وارتفاع معدل وفيات الأطفال والأعداد الكبيرة للمتسربين من التعليم في المدارس الابتدائية. ولكن هذه الجهات لا تولي سوى قدراً ضئيلاً من الاهتمام للأطفال الأكبر سناً، وخاصة لدوافع العمل والهجرة



النيجر

والعنف التي تتأثر بها هذه الطائفة العمرية. فالأطفال في سن المراهقة، الذين تتراوح أعمارهم بين ١٠ - ١٨ عاماً، أكثر عرضة لخطر الانفصال عن عائلاتهم والتعرض للعنف والاستغلال والإساءة التي عادة ما تتصل بالهجرة من المناطق المتضررة سعياً للبحث عن عمل. ومع ذلك، فبالرغم من هذه الحقائق، يغفل المعنيون هذه الآثار ولا يتخذون الإجراءات الخاصة اللازمة للوصول إلى الأطفال في سن المراهقة.

ولمعرفة مزيد من المعلومات عن تجارب الأطفال في سن المراهقة والمتضررين بفعل أزمة الغذاء، أجرت منظمة بلان انترناشيونال في غرب أفريقيا مؤخراً بحثاً بشأن آثار أزمة الغذاء على حماية الفتيات والفتيان في سن المراهقة في بوركينا فاسو والنيجر^١.

ومن أبرز النتائج التي خلص إليها هذا البحث الضغوط المفروضة على المراهقين، وخاصة الفتيان، للهجرة أو السفر سعياً لإيجاد عمل. فالعائلات المتضررة بسبب أزمة الغذاء والمعتمدة غالباً على الزراعة للحصول على الغذاء والدخل تجد نفسها مجبرة على إيجاد موارد بديلة للدخل عندما يخفقون في تحقيق ما يرمون إليه في

خلصت إلى زيادة احتمالية تعرض هؤلاء الأطفال أيضاً للعنف والاستغلال.^٢ وعادة ما يغمر هؤلاء الأطفال الشعور بالتهميش. فقد عُرف أن الأطفال الذين انتقلوا إلى البلدان والمدن أو خارج البلاد يواجهون صعوبات كبيرة، فهم عادة ما يعملون على نحو غير قانوني في الدول والمدن ذات الثقافات والقيم المغايرة للمكان الذي جاءوا منه مما يعرضهم للعنف والتحرش والاستغلال. ولم يبد المراهقون ومجتمعاتهم المحلية أيضاً في هذه الدراسة المسحية أنهم على وعي بأي مبادرات قدمت في مجتمعاتهم أو في المناطق التي توجهوا إليها تهدف إلى منع العنف الناتج عن أزمة الغذاء والاستجابة له.

وعادة ما تدور النقاشات بشأن أزمة الغذاء في العالم الإنساني في هذه الأيام حول مفهوم اللدونة. ومع ذلك، لا تُخصص إلا مساحة ضئيلة لقضايا الهجرة والحماية والتعليم. وعلاوة على ذلك، لم توظف الاستجابات الإنسانية لأزمة الغذاء التي تضر بالمراهقين على البلاد في الحول دون حدوث القضايا التي تضر بالمراهقين والاستجابة لها، مثل: الضغوط على المراهقين للهجرة خارج مجتمعاتهم المحلية للبحث عن عمل. وإضافة إلى الآثار السلبية على الأطفال من الناحية الفريدة بتعرضهم للعنف وعواقب ذلك على صحتهم وغمهم العقلي والجسدي، ثمة آثار طويلة الأجل على المجتمعات المحلية ذاتها في المناطق المحتمل تعرضها لأزمة الغذاء. فالضغوط المفروضة على المراهقين لتولي الأعمال التي لا تحتاج لمهارات عالية بوصفها إستراتيجية تأقلم قصيرة المدة توقع المجتمعات المحلية في شرك شائك من الفقر لأن الأطفال يعجزون عن استكمال تعليمهم الأساسي أو الحصول على فرص للتوظيف في الأعمال التي تتطلب مهارة لأدائها.

وعلى الجهود المستقبلية المبدولة لتأسيس اللدونة في المناطق المعرضة لأزمة الغذاء مراعاة المبادرات التي لا تهدف إلى تقليل ظروف الاستضعاف المحيطة بسبل العيش عيش السكان وحسب، ولكن الداعمة بفاعلية أيضاً للمراهقين بوصفهم الفاعلين الأساسيين في عائلاتهم ومجتمعاتهم المحلية في أوقات الأزمات. فعلى سبيل المثال، دعم الأطفال في سن المراهقة لتنمية مهاراتهم من خلال موازلة أنشطة مدرة لدخول متنوعة، مثل: تربية الدواجن أو زراعة الخضروات، وأدائها جنباً إلى جنب مع الذهاب للمدرسة، لن يُشجع الآباء على إرسال أطفالهم إلى المدارس وحسب ولكنه يقلل أيضاً من الضغوط الواقعة على الأطفال للهجرة بحثاً عن عمل.

جانيس ريدسدیل Janis.Ridsdel@plan-international.org
متخصصة في مجال حماية الأطفال في حالات الطوارئ في منظمة
بلان إنترناشيونال. www.plan-international.org

١. تألف البحث من متن البحث وتجميع البيانات في 54 مجتمع محلي متضرر من أزمة الغذاء في يوركتينا فاسو والنيجر. تقرير غير منشور (يناير/كانون الثاني 2013) بشأن: العيش في خطر مزدوج: الفتيات في سن المراهقة والكوارث (In Double Jeopardy: Adolescent Girls and Disasters). منظمة بلان إنترناشيونال (2013)

<http://tinyurl.com/Plan-InDoubleJeopardy2013>

٢. دانييل ريبالي (2008). بعيداً عن المنزل: حماية الأطفال ودعمهم في رحلاتهم (Away from Home: Protecting and Supporting Children on the Move)

منظمة Save the Children

وبالطبع، أسفرت زيادة عدد الأطفال العاملين إلى نقص عدد الأطفال المنتظمين في المدارس. ومع ذلك، فمساهمات المراهقين في أوقات الأزمة شديدة الأهمية وضرورية لإبقاء العائلات على قيد الحياة. ولم يُسهب المراهقون أنفسهم كثيراً بشأن مستقبلهم أو أوضاعهم أو المشاكل التي يواجهونها ولكن بدا عليهم تقبل تحمل مسؤوليات إضافية كجزء من النظام الطبيعي في الحياة. وعموماً، لم يظهر أن دور المراهقين بوصفهم معيبن جاء قسراً على يد البالغين. وللاستشهاد على ذلك، قالت فتاة في سن المراهقة ببساطة: "ندرك أنه لن يوجد شيء لناكله إن لم نعمل".

وعلى نحو مثير للاهتمام، منحت حقيقة أن أزمة الغذاء دفعت كثيراً من المراهقين لتولي أدواراً جديدة في عائلاتهم بوصفهم معيبن في بعض الحالات هؤلاء المراهقين شأنًا كبيراً في عائلاتهم ومجتمعاتهم عند صناعة القرارات؛ فقد كانت بداية أزمة الغذاء عند كثير من الفتيات والفتيان بمثابة نهاية مفاجئة لطفولتهم. وتعد الضغوط على المراهقين كبيرة ولها عواقب سلبية على موهبهم البدني والنفسي، فقد أعرب كثير من الفتيان والفتيات الذين أُجريت معهم مقابلات أثناء إجراء الدراسة عن شعورهم باليأس والمشقة جراء واقع ما يجابهونه ببساطة من فقر مدقع وجوع شديد. وظهر الجانب المظلم للمسؤوليات الجديدة الملقاة على عاتق المراهقين أيضاً في ازدياد السلوكيات المحفوفة بالمخاطر لديهم، وخاصة عند تعرضهم للبعاء والمخدرات.

شح الاستجابات

بالرغم من الآثار الكبيرة والخاصة الناتجة عن أزمة الغذاء على المراهقين، لا يوجد سوى برامج قليلة، إن وجدت، مخصصة للاستجابة لاحتياجاتهم. ولم تُسفر مشاركة المراهقين في برامج المساعدة الإنسانية الموضوعية للبالغين أيضاً عن أي استجابة واقعية لاحتياجاتهم الخاصة. فضلاً عن أن برامج الغذاء مقابل العمل والنقد لقاء العمل في المناطق التي أُجريت عليها هذه الدراسة